مركز المنبر
للدراسات والتنمية المستدامة
ALMANBAR CENTER FOR STUDIES
AND SUSTAINABLE DEVELOPMENT

الدرس الأوكراني في المشهد الدولي المُلتبس

الباحث و الكاتب : حيدر الخفاجي

عن المركز

مركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة، مركز مستقلٌّ، مقرّه الرئيس في بغداد. رؤيته الرئيسة تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام – فضلاً عن قضايا أخرى – ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا تهمّ الشأن السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي، والثقافي.

لا تعبر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كتابها

حقوق النشر محفوظة لمركز المنبر للدراسات والتنمية المستدامة

https://www.almanbar.org

info@almanbar.org

الدرس الأوكراني في المشهد الدولي المُلتبس

الباحث و الكاتب : حيدر الخفاجي

أصبح الخلاف بين رئيس الولايات المتحدة ورئيس أوكرانيا خلال زيارة الأخير إلى واشنطن قضية محورية على الساحة السياسية الدولية[1]. ومن النقاط المهمة واللافتة في هذا اللقاء ، الموقف المُتسلِّط والمُهين الذي اتخذه الرئيس الأميركي ونائبه تجاه الرئيس الأوكراني، بالإضافة إلى الضغوط التي مارساها لقبول المطالب المفروضة عليه. وقد قوبل ذلك بمقاومة من الرئيس الأوكراني، ممّا أدى إلى انتهاء اجتماعهما دون إتّباع البروتوكولات المعتادة عند استقبال الرؤساء في البيت الأبيض.

تاريخياً، تجدر الإشارة إلى أن أوكرانيا كانت واحدة من الجمهوريات القوية التي شكّلت الاتحاد السوفييتي، فبعد الثورة الروسية عام 1917، أصبحت أوكرانيا واحدة من جمهوريات الاتحاد السوفيتي في عام 1922.

وفي عام 1945، أصبحت جمهورية أوكرانيا الاشتراكية السوفياتية عضواً مؤسِساً في الأمم المتحدة، جنباً إلى جنب مع جمهورية بيلاروسيا الاشتراكية السوفياتية، على الرغم من أنهما كانا ممثليّن قانونياً من قبل الاتحاد السوفيتي في الشؤون الخارجية.

بعد تفكك الاتحاد السوفيتي في عام 1991[2]، أصبحت أوكرانيا دولة مستقلة، وانضمت مع جمهوريات سوفييتية أخرى إلى اتفاقية رابطة الدول المستقلة في نهاية ذلك العام، ممّا أجبر الرئيس ميخائيل جورباتشوف آنذاك على الاستقالة .

في عام 1994، وقّعت أوكرانيا على مذكرة بودابست، وهي اتفاقية تضم الولايات المتحدة وروسيا والمملكة المتحدة، للتخلي عن ترسانتها النووية والانضمام إلى معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. في ذلك الوقت، كانت أوكرانيا تمتلك ثالث أكبر مخزون نووي في العالم. وفي مقابل نزع السلاح النووي، وافقت الدول المُوقِّعة على عدد من الضمانات الأمنية[3]، وهي:

١. احترام استقلال وسيادة أوكرانيا داخل حدودها الحالية.

٢. الامتناع عن التهديد باستخدام القوة أو استخدامها ضد أوكرانيا.

٣. تجنّب ممارسة الضغوط الاقتصادية على أوكرانيا.

[1]As Trump flip-flops on Ukraine, Zelensky rushes to fix ties .https://www.washingtonpost.com/world/2025/03/08/zelensky-trump-fallout-ukraine/

[2] Russia and Ukraine: the tangled history that connects—and divides—them .
https://www.nationalgeographic.com/history/article/russia-and-ukraine-the-tangled-history-that-connects-and-divides-them

[3]Ukraine, Nuclear Weapons, and Security Assurances at a Glance .https://www.armscontrol.org/factsheets/ukraine-nuclear-weapons-and-security-assurances-glance

٤. السعي إلى اتخاذ إجراءات فورية من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لمساعدة أوكرانيا في حال أصبحت ضحية للعدوان.

٥. الامتناع عن استخدام الأسلحة النووية ضد أوكرانيا.

٦. التشاور مع بعضهم البعض إذا نشأت أسئلة بشأن هذه الالتزامات.

أكملت أوكرانيا نزع سلاحها النووي بين عاميّ 1994 و1996، وأرسلت أسلحتها النووية إلى روسيا. تم نقل آخر رأس حربي إلى روسيا في مايو/ آيار 1996. ويعتقد البعض في أوكرانيا أن البلاد تعرضت لضغوط لإبرام هذه الاتفاقية ولم تحصل على الأمن الذي وُعدت به.

ماهي العوامل التي أثرّت سلباً على وضع أوكرانيا بين الدول التي نشأت عن الاتحاد السوفييتي السابق، وأوصلتها إلى الوضع الصعب راهناً؟، يمكن إجمال ذلك على النحو التالي:

- موقع أوكرانيا الجغرافي بين روسيا والغرب فرض عليها ضرورة اتِّباع سياسة خارجية متوازنة، حيث يتعيّن عليها تعزيز علاقاتها مع الدول الغربية للحصول على الدعم الاقتصادي والعسكري، بينما تحتاج في الوقت ذاته إلى الحفاظ على قنوات الاتصال مع روسيا لتجنّب التصعيد وتحقيق الاستقرار، ممّا يستدعي منها معالجة القضايا الداخلية مثل الفساد والانقسام السياسي، وتطوير قدراتها الدفاعية لضمان أمنها القومي في ظل التوترات المستمرة[4].
- تنقسم أوكرانيا ديموغرافياً إلى مجموعتين رئيسيتيّن من حيث التوجهات السياسية والثقافية: المجموعة الموالية لروسيا، التي تضم عدد كبير من السكّان في الجزء الشرقي من البلاد حيث الأغلبية الروسية وتتركّز فيها معظم الصناعات، والمجموعة الثانية هي الموالية للغرب، التي تشمل الجزء الغربي من أوكرانيا، بما في ذلك العاصمة كييف، حيث تسعى إلى تعزيز العلاقات مع الدول الغربية والانضمام إليها[5].
- بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، اختارت كلاًّ من الجمهوريات المستقلة حديثاً مسارها الخاص، حيث تحالفت بعض الدول مع روسيا بينما سعت أخرى إلى تعزيز علاقاتها مع الغرب. أما أوكرانيا فلم تعتمد سياسة خارجية تتسم بالثبات، حيث شهدت تحولات بين حكومات موالية لروسيا وأخرى موالية للغرب، ممّا أثر سلباً على سياساتها الداخلية والخارجية.

[4] UKRAINE'S GEOPOLITICAL POSITION: BETWEEN EAST AND WEST .https://intapi.sciendo.com/pdf/10.1515/seeur-2017-0007
[5] What Next for Ukraine's Formerly Pro-Russian Regions? .https://carnegieendowment.org/russia-eurasia/politika/2022/11/what-next-for-ukraines-formerly-pro-russian-regions?lang=en

- على الرغم من أنه كان من المفترض أن يُحترم الاتفاق العام بين روسيا والولايات المتحدة حول حدود الأمن القومي لكلٍ منهما، إلاّ أن هذا لم يتحقق. فقد وضعت الولايات المتحدة والدول الغربية، بما في ذلك حلف شمال الأطلسي، التوسع شرقاً على جدول أعمالها بشكل كبير ولم تتخل عنه أبداً[6].

- على عكس بعض الجمهوريات السوفيتية السابقة الأخرى، قامت أوكرانيا وجورجيا بالإنفتاح سياسياً على الدول الغربية بشكل موسع. هذا الانفتاح أدى إلى تدخلات ونفوذ واضح من قبل القوى الغربية الطامحة لتوسيع حلف الأطلسي، حيث سعت هذه الدول إلى تعزيز قيم الليبرالية الغربية واقتصاد السوق فيهما.

تضمن ذلك دعماً مالياً وسياسياً لأوكرانيا وجورجيا، بالإضافة إلى وجود مستشارين ومراقبين في العمليات الانتخابية. وقد أدى هذا الانفتاح الواسع على الغرب الرأسمالي إلى توترات مع روسيا، التي اعتبرت هذا النفوذ الغربي المتنامي تهديداً لأمنها القومي ومصالحها الاستراتيجية.

تسببّت هذه الديناميات في تعزيز الانقسامات داخل أوكرانيا وجورجيا، حيث ظهرت مجموعات مؤيدة للغرب وأخرى موالية لروسيا، ممّا أثرَّ سلباً على الاستقرار السياسي والاجتماعي في كِلا البلدين[7].

- واجهت أوكرانيا المستقلة العديد من القضايا الصعبة، منها نزع السلاح النووي، والمشاركة في رابطة الدول المستقلة، ووضع شبه جزيرة القرم، والسيطرة على أسطول البحر الأسود. وبعد كارثة تشيرنوبيل، ظهرت مشاعر قوية مناهضة للأسلحة النووية في أوكرانيا، ممّا دفع القادة إلى الالتزام بتجريد البلاد من الأسلحة النووية حتى قبل الاستقلال.

كانت أوكرانيا، في الواقع، ثالث أكبر قوة نووية في ذلك الوقت، لكن الكثير من الأوكرانيين لم يكونوا على دراية بحجم الترسانة النووية الموجودة على أراضيهم. كما لم يأخذوا في الاعتبار المشاكل اللوجستية والتكاليف الباهظة المرتبطة بعملية نزع السلاح النووي، ممّا جعل هذه القضية أكثر تعقيداً في السياق السياسي الذي كان يسود البلاد.[8]

[6] Russia’s draft agreements with NATO and the United States: Intended for rejection? .https://www.brookings.edu/articles/russias-draft-agreements-with-nato-and-the-united-states-intended-for-rejection/
[7] Painful Moments and Realignment: Explaining Ukraine’s Foreign Policy, 2014–2022 .https://uu.diva-portal.org/smash/get/diva2:1797528/FULLTEXT01.pdf
[8] Independent Ukraine .https://www.britannica.com/topic/history-of-Ukraine/Independent-Ukraine

- يفتقر المجتمع الأوكراني إلى قوة موحدة أو زعيم كاريزمي يُمكنه مواجهة التحديات، ممّا أدى إلى صعوبة في بناء إجماع وطني حول القضايا الرئيسية. هذه الانقسامات ساهمت في تفاقم الأزمات السياسية والاقتصادية، ممّا أثر على الاستقرار والتنمية في البلاد[9].

إن ما نشهده اليوم في أزمة أوكرانيا، والطريقة التي تتعامل بها الإدارة الأمريكية الجديدة مع هذا البلد، يُعد درساً للعديد من الدول، سيما التي تسعى لضمان استقلالها وأمنها واستقرارها.

تُعتبر أوكرانيا، مثل روسيا والولايات المتحدة، جزءاً من العالم المسيحي، ولا تواجه صراعاً دينياً أو أيديولوجياً مع الأطراف الرئيسية في النزاع، كما أنها تُعد منطقة نائية بالنسبة للغرب.

ومع ذلك، يُظهر سلوك الولايات المتحدة أن اليقظة والاعتماد على العناصر الأساسية للقوة يجب أن تُعتبر أولوية قصوى في العلاقات الدولية، لضمان البقاء وحماية المصالح الوطنية والأمن القومي، حتى وإن كان ذلك على حساب الحلفاء.

بعد مراهنة فولوديمير زيلينسكي على المواجهة مع الرئيس دونالد ترامب، والتي أسفرت عن اجتماع متفجِّر في المكتب البيضاوي، يسعى الرئيس الأوكراني جاهداً ، في الوقت الحاضر، لاستعادة العلاقات مع واشنطن. يأتي ذلك في وقت يضغط فيه البيت الأبيض من أجل إنهاء سريع للحرب مع روسيا.

في هذه الأثناء، استغلت حاشية زيلينسكي الفرصة لبدء محادثات مع خصومه السياسيين المحليين، ممّا قد يقوّض قيادته ويثير جدلاً حول إجراء انتخابات في زمن الحرب. هذه الخطوة قد تنتهك دستور البلاد في ظل الأحكام العرفية، الأمر الذي من شانه أن يزيد من تعقيد الوضع السياسي في أوكرانيا.

فضلاً عن ذلك، فقد تسبّبت هذه الأحداث في إثارة جدل واسع في أوكرانيا تجاه العلاقة مع واشنطن، حتى بين أولئك الذين يتساءلون عمّا إذا كانت المساعدات المُقدمة من إدارة ترامب تهدف فقط إلى الاستفادة من المعادن الأوكرانية والنأي بنفسها عن الحرب. هذه التساؤلات تعكس القلق المتزايد بشأن نوايا الولايات المتحدة وتأثيرها على مستقبل أوكرانيا في ظل الظروف الراهنة.

في هذا السياق قال سيرجي تاروتا، النائب المعارض والمليونير والحاكم السابق لمنطقة دونيتسك في أوكرانيا، إنه يحمل استفسارات جوهرية لمكتب الرئاسة بشأن التحضيرات لرحلة مقبلة إلى واشنطن. أوضح تاروتا أن "ما يسعى إليه ترامب هو

[9] Why is Ukraine losing ground? Mobilization crisis and command failures exposed .https://euromaidanpress.com/2025/01/03/why-is-ukraine-losing-ground-deep-analysis-of-military-problems-in-2025/

التأكيد على استعداد أوكرانيا للمفاوضات وتوقيع الاتفاق. كما يرغب في أن يظهر أنه ليس كالرئيس جو بايدن، الذي لا يقدم شيئاً بالمجان. إنه يعتمد نهجاً تجارياً أكثر، وكان ينبغي على زيلينسكي أن يتبنى هذا الأسلوب"[10].

ومع سعي واشنطن للعب دور الوسيط، يبدو أن "ترامب سيصنع التاريخ باعتباره الزعيم الذي أوقف الحرب ، ولكن على حساب أوكرانيا"، كما قال تاروتا. وأضاف أنه في محاولة لإنقاذ الوضع، يتعيّن على زيلينسكي تمكين ائتلاف واسع في البرلمان و"تعيين شخص للمفاوضات يتمتع بخبرة كبيرة، وخاصة في الصراعات"[11].

تُبرز هذه التصريحات التحديات الكبيرة التي يواجهها زيلينسكي في التفاوض مع إدارة ترامب، ممّا يتطلب منه مزيجاً من الدبلوماسية الحذرة والواقعية السياسية لضمان تحقيق مصالح أوكرانيا في سياق تعقيدات المشهد الدولي الراهن.

يتمثل الاختبار الكبير لزيلينسكي في قدرته على إصلاح علاقته مع البيت الأبيض مع الحفاظ على الدعم المحلي، بينما يسعى لإرضاء ترامب دون التنازل عن سيادة أوكرانيا. هذا التوازن الدقيق يتطلّب منه مهارات دبلوماسية عالية وتفكير استراتيجي، خاصةً في ظل الظروف السياسية المعقّدة التي تواجهها البلاد.

***

المصادر:

١. As Trump flip-flops on Ukraine, Zelensky rushes to fix ties.
https://www.washingtonpost.com/world/2025/03/08/zelensky-trump-fallout-ukraine/

[10] As Trump flip-flops on Ukraine, Zelensky rushes to fix ties .https://www.washingtonpost.com/world/2025/03/08/zelensky-trump-fallout-ukraine/

[11] نفس المصدر

٢. Russia and Ukraine: the tangled history that connects—and divides—them. https://www.nationalgeographic.com/history/article/russia-and-ukraine-the-tangled-history-that-connects-and-divides-them

٣. Ukraine, Nuclear Weapons, and Security Assurances at a Glance. https://www.armscontrol.org/factsheets/ukraine-nuclear-weapons-and-security-assurances-glance

٤. UKRAINE'S GEOPOLITICAL POSITION: BETWEEN EAST AND WEST. https://intapi.sciendo.com/pdf/10.1515/seeur-2017-0007

٥. What Next for Ukraine's Formerly Pro-Russian Regions? https://carnegieendowment.org/russia-eurasia/politika/2022/11/what-next-for-ukraines-formerly-pro-russian-regions?lang=en

٦. Russia's draft agreements with NATO and the United States: Intended for rejection? https://www.brookings.edu/articles/russias-draft-agreements-with-nato-and-the-united-states-intended-for-rejection/

٧. Painful Moments and Realignment: Explaining Ukraine's Foreign Policy, 2014–2022. https://uu.diva-portal.org/smash/get/diva2:1797528/FULLTEXT01.pdf

٨. Independent Ukraine. https://www.britannica.com/topic/history-of-Ukraine/Independent-Ukraine

٩. Why is Ukraine losing ground? Mobilization crisis and command failures exposed. https://euromaidanpress.com/2025/01/03/why-is-ukraine-losing-ground-deep-analysis-of-military-problems-in-2025/